الفصل الثاني

موقف الجمعيات القومية من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب

المفهـــوم العام عن الجمعيات القومية الذي طرحه مؤسسوها أنها جمعيات إصلاحية، قدمت مناهج تريد من خلالها إصلاح ما فسد من واقع المسلمين.

ويلـــزم من هذا المفهوم أن تكون للجمعيات القومية مواقف من الدعوات الـــتي تـــنادي بالإصـــلاح، سواء كانت معاصرة للجمعيات أم عاصرت آثار الدعوات الإصلاحية.

إن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب[1](١١١٥-١٢٠٦هـــ) التي ظهرت قـــبل تأسيس الجمعيات القومية العربية، تعتبر من أبرز الدعوات الإصلاحية التي

---

(١) ألفت كتبٌ كثيرة في بيان السيرة الذاتية للإمام ابن عبدالوهاب، كما ألفت كتبٌ عن معالم دعوة الإمام محمد ابن عبدالوهاب، منها:

- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، والغزوات البيانية والفتوحات الربانية-حسين بن غنام.
- عنوان المجد في تاريخ نجد- عثمان بن بشر.
- محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم-مسعود الندوي.
- محمد بن عبدالوهاب/أحمد عبدالغفور عطار-دار العلم للملايين-بيروت-الطبعة الثالثة/ ١٣٨٧هـــ
- الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره-عبدالله العثيمين.
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض-عبدالعزيز العبداللطيف.
- الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ-عبدالله بن سعد الرويشد/القاهرة/البابي الحلبي-١٣٩٢هـــ.
- الإمام محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة-آمنة محمد نصير-دار الشروق-بيروت.

نـــادت بالعودة إلى الكتاب والسنة، ونبذ الروابط والمعتقدات الجاهلية، والمنطقة التي ظهرت فيها دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب كانت بحاجة إلى دعوة دينية إصلاحية، وكانت مكاناً مناسباً لنجاحها فقد كانت أيضاً في حاجة إلى حركة سياسية تجمع شتات إماراتها الصغيرة المتحاربة أحياناً وقبائلها المختلفة المتصارعة حول موارد المياه[١].

وقد قام الإمام محمد بن عبدالوهاب بدعوة الخاصة والعامة إلى التوحيد الخالص والدين الصحيح، وسعى إلى مخاطبة عوام الناس مبيناً لهم ما يجب عليهم وما يحرم، فمن أقواله في تلقين العقيدة الصحيحة: "بسم الله الرحمن الرحيم: إذا قيل لك من ربك؟ فقل: ربي الله، فإذا قيل لك: إيش أكبر ما ترى من مخلوقاته؟ فقل: السماوات والأرض. فإذا قيل لك: إيش تعرفه به؟ فقل أعرفه بآياته ومخلوقاته. وإذا قيل لك: إيش أعظم ما ترى من آياته؟ فقل: الليل والنهار. والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٢].

فإذا قيل لك: لأي شيء الله خلقك؟ فقل: لعبادته.

فإذا قيل لك أي شيء عبادته؟ فقل: توحيده وطاعته.

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره-عبدالله بن العثيمين-٢١-دار العلوم-الرياض-١٩٩٣.

(٢) سورة الأعراف-رقم الآية (٥٤).

فإذا قيل لك: أي شيء الدليل على ذلك؟ فقل: قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [١][٢]. وبمثل هذا المنهج التلقيني قام الإمام محمد بن عبدالوهاب بالمنهج الإصلاحي المتلقى من الكتاب والسنة.

وقبل بيان موقف الجمعيات القومية العربية أوجز أبرز المعالم الأساسية لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، والتي تناقض أسس ومبادئ تلك الجمعيات، ومما ينبغي التأكيد عليه أيضاً أن موقفهم من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب لا يختلف عن موقف الجمعيات من الدين، لأن دعوة الإمام هي امتداد لدعوة المصلحين القائمة على منهاج النبوة.

أبرز معالم دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب:

أولاً: نبذ الشرك بجميع صوره وأنواعه وتحقيق العبودية لله رب العالمين: وهي دعوة الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، وفي مباحث الرسالة بينت معاول الهدم التي سلطتها جمعيات القومية العربية على توحيد الألوهية، ونشر وإحياء شركيات الجاهلية في واقع المسلمين.

وقد قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في بيان معالم دعوته: (بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به، من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك

---

(١) سورة الذاريات-رقم الآية (٥٦).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب-القسم الأول-العقيدة والآداب الإسلامية-٣٧٠-٣٧٤.

مما هو حق لله تعالى، الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة)[١].

وذكر الإمام أن تحقيق التوحيد لله وحده هو زبدة دعوة الرسل، فعند استنباط الفوائد من الحديث الذي يرويه عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ ومما جاء في الحديث قوله:[كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: (**أَنَا نَبِيٌّ**) فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: (**أَرْسَلَنِي اللَّهُ**) فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: (**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**)[٢].

قال الشيخ: "إن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوات وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة"[٣].

إن قضية تحقيق التوحيد لله تعالى والخلوص من الشرك من أبرز معالم دعوة محمد بن عبدالوهاب، وصنفت فيها العديد من الكتب والرسائل، ومن أبرز كتبه كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وكتاب كشف الشبهات.

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ -قسم الرسائل الشخصية-٥/٣٦.

(٢) صحيح مسلم-كتاب صلاة المسافرين-بَاب إِسْلامِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ-رقم الحديث(١٣٧٤).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب-العقيدة والآداب الإسلامية-٢٨٤.

ومن المعلوم أن الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك التي قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب قوبلت بصد أهل الشرك والضلال، من العلماء والأمراء، على حد سواء، فيذكر الإمام في كتابه كشف الشبهات بعض الشبه التي أثيرت، وتولى الرد عليها وأبطلها.

ومن أمثلة ذلك قوله: "يقول المشرك: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلا عن غيره. ولكن أنا (المشرك) مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله. وأطلب من الله بهم".

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: "وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل: وما الشرك بالله؟ فسره لي، فإن قال: هو عبادة الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي. فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده. فقل له: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي. فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب. وإن لم يعرفه فكيف يدعى شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك بغير معناه: بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له: هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون علينا، كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [1] وقد أثارت هذه القضايا وغيرها خلافاً بين الإمام وأتباعه وبين خصومهم[2].

---

(١) سورة ص-رقم الآية (٥).

(٢) انظر عن هذا الموضوع:الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره/عبدالله بن صالح العثيمين/١٠٧. دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقض-عبدالعزيز العبد اللطيف.

ومنهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في حقيقة محبة الرسول ﷺ وما تستلزمه ومـــا تقتضيه شهادة أن محمداً رسول الله هو: "تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير، والنصرة والمتابعة والطاعة، وتقديم سنته صلى الله عليه وســـلم عـــلى كل سنة وقول، والوقوف معها حيثما وقفت، والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره، خفيه وجليه، كليه وجزئيه"(١).

ثانياً: وجوب معاداة أهل الكفر والضلال: لا يتحقق التوحيد الخالص إلا بموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، ومن هذا الأساس بين الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب (مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد) وعقد باباً ترجم له بقوله:(باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين) وقول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ ﴾ (٢).

وقولـــه تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(٣).وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (٤)(٥).

---

(١) تاريخ نجد-محمود شكري الآلوسي-٨٧-الطبعة الثالثة-١٤١٥هـ.

(٢) سورة النساء -رقم الآية(١٤٠).

(٣) سورة المائدة-رقم الآية(٥١).

(٤) سورة الممتحنة-رقم الآية(١).

(٥) مؤلفـــات الشيخ محمد بن عبدالوهاب-العقيدة والآداب الإسلامية-مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد-٣١٢.

وبعد عرض الآيات القرآنية وأقوال السلف في هذا الموضوع، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في موالاة ومعاداة أهل البدع: (كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة، في ضلالة لا تخرج عن الملة، لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين:

الأول: غلظ البدعة في الدين في نفسها فهي عندهم أجل الكبائر.. ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون به أهل الكبائر.

الثاني: أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع.

ولما كان ظهور البدع دليلاً على غربة الدين قال الإمام محمد بن عبدالوهاب عن حديث الغربة والذي فيه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**)[1].

قال الإمام عن معاني أحاديث الغربة: "تأمل رحمك الله أحاديث الغربة وبعضها في الصحيح مع كثرتها وشهرتها، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا وقع في زمن طويل .. فتأمل هذا جيداً لعلك أن تسلم من هذه الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس وهي الاقتداء بالكثرة والسواد الأكبر، والنفرة من الأقل، فما أقل من سلم منها ما أقله ما أقله"[2].

---

(١) صحيح مسلم-كتاب الإيمان-بَاب بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا-رقم الحديث(٢٠٨).

(٢) مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب-العقيدة والآداب الإسلامية-مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد-٣١٢.

إن معاداة أهل الشرك من الأمور المقررة في عقيدة أهل التوحيد، وقد بين الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١) (٢).

ومما بينه الإمام أن من وحّد الله تعالى، وعبد الله تعالى، لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ﷺ ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، والدليل قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٣)(٤).

وأكد الإمام محمد بن عبدالوهاب على أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ـــ ولو وحد الله وترك الشرك ـــ إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية (٥).

---

(١) سورة الأنعام-رقم الآية (١١٢).

(٢) كشف الشبهات-محمد بن عبدالوهاب-١٠-مطبعة السنة المحمدية-القاهرة-١٣٧٢هـ.

(٣) الجامع الفريد-٢٧٠.

(٤) سورة المجادلة-رقم الآية(٢٢).

(٥) الجامع الفريد-٢٥٤-مطبعة المدينة-الرياض.

وقد قام الإمام محمد بن عبد الوهاب بتوجيه العامة والخاصة من المسلمين إلى لزوم تطبيق عقيدة الولاء والبراء، فمن توجيهاته، قوله: "الواجب عليك نصر أخيك ظالماً أو مظلوماً[١]، وأن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة فلا تعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر ـــ الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشر وأهله ـــ فإن كان الصواب معنا فالواجب عليك الدعوة إلى الله وعداوة من صرح بسب دين الله ورسوله ﷺ، وإن كان الصواب معهم ـــ أهل الشرك ـــ أو معنا شئ من الحق وشيء من الباطل أو معنا غلو في بعض الأمور فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا (وتورينا) ـــ تطلعنا ـــ عبارات أهل العلم لعل الله أن يردنا بك إلى الحق"[٢].

في المباحث السابقة من الرسالة بينت الأسس العقائدية التي قامت عليها الجمعيات القومية العربية في تفضيل الجنس العربي دون الاعتبارات الدينية على غيره من الأجناس، وهذه المسألة قد تناولها الإمام محمد بن عبدالوهاب، فقد قال عن آل النبي ﷺ: "إن لهم حقٌ لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالا يستحق سائر قريش، وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم من القبائل.. وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة ومدح الله للمعين وكرامته عنده فهذا لا يؤثر فيه النسب"[٣].

---

(١) (أنصر أخيك ظالماً أو مظلوماً) جزء من حديث [انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا] أخرجه البخاري في صحيحه-كتاب المظالم والغصب-بَاب أُعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا-رقم الحديث(٢٢٦٣).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب-القسم الخامس الرسائل الشخصية-٣٠٠-٣٠١.

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب-ملحق المصنفات-٥١.

كمـــا لم يعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب صحة إسلام من لم يعادي أهل الشـــرك، لأن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك الأكبر، وأن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله ـــ يفعل الشرك ـــ[١].

ثالـــثاً: طاعـــة ولي الأمـــر وعدم الخروج على الجائر منهم: لقد هتكت الجمعـــيات القومـــية مبدأ الخلافة الشرعية، وساهمت في تقرير سيادة الأمة في التشـــريع، وأنكـــرت على من يقول بعدم الخروج على أئمة الجور ما لم يرون كفـــراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان كما ثبت من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أنه قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ: **(فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَـــةِ فِـــي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلاّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)**[٢].

وهـــذا الموقف تجاه الإمام الجائر ذكره الإمام محمد بن عبدالوهاب في بيان دعوتـــه، حيـــث قال: "..وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة.. وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين بـــرهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضـــوا بـــه وغلـــبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه"[٣].

---

(١) المصدر السابق-القسم الأول (العقيدة والآداب الإسلامية)-٢٩٧.

(٢) صحيح البخاري-كتاب الفتن-بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا-رقم الحديث(٦٥٣٢).

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب-القسم الخامس الرسائل الشخصية-١١.

وبين الشيخ أن طاعة ولي الأمر الجائر في مذهب أهل السنة هو: أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله فيصلى خلفهم، ويجاهد معهم، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..وقل من خرج على دين سلطان إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم من الخير، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا(١).

رابعاً: الأخوة الإسلامية: لقد أدرج الإمام محمد بن عبدالوهاب مبدأ الأخوة الإسلامية ضمن قضايا التوحيد، فقال: باب قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ (٢).

ومن أقوال الرسول ﷺ التي استدل بها الإمام في باب الأخوة الإسلامية حديث أنس بْن مَالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَان أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه ممَّا سوَاهُمَا، وَأَنْ يُحبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّه وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)(٣).

---

(١) المصدر السابق-ملحق المصنفات-٥٠و٤٢.

(٢) سورة التوبة-رقم الآية(٢٤).

(٣) صحيح البخاري-كتاب الإيمان-بَاب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ-رقم الحديث (١٥).

قال الشارح لكتاب التوحيد: من لوازم محبة الله محبة أهل طاعته، كمحبة أنبيائه، ورسله، والصالحين من عباده، فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الإيمان[١].

وأكد الإمام محمد بن عبدالوهاب على رابطة الأخوة الإسلامية بقوله: "يا إخـــواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعـــرفوا معـــناها وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعـــيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفـــرهم أو قال: ما عليّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى. فقد كلفه الله تعالى بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم[٢].

وبعد هذا العرض الموجز لأبرز معالم دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب أبين موقف الجمعيات القومية العربية من دعوته رحمه الله.

أولاً: وصف الدعوة الإصلاحية وأتباعها بأنها مذهب محدث في الإسلام:

لقـــد وصف أعضاء الجمعيات القومية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتـــباع الدعـــوة بأنها مذهب محدث في الدين، وليس وصفهم هذا من منطلق

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد-عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ-٢٩٦.

(٢) الجامع الفريد-٢٦٢-مطبعة المدينة-الرياض.

غيرهم على الدين وإنما لصد المسلمين عن مبادئ الدعوة الإصلاحية القائمة على الكتاب والسنة.

كان قبل أعضاء الجمعيات القومية، من وصف الشيخ بهذا الوصف لغرض صد الناس عن الاستماع لدعوته، كسليمان بن محمد بن سحيم، القائل: "خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل، مضل ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فظيعة، وأحوال شنيعة..الخ"(١).

وعلى لسان الجمعيات القومية العربية، قالت صحيفة الهلال: "الوهابية مذهب في الإسلام منسوب إلى محمد بن عبدالوهاب، انتشر هذا المذهب في بلاد نجد لا سيما بين القبائل التي يحكمها آل سعود"(٢).

وقال أمين الريحاني: "الحنابلة والوهابيون يختلفون عن سواهم من المسلمين في إنهم يزورون القبور للسلام والدعاء لا للتوسل والاستغاثة"(٣).

إن زيارة القبور المشروعة لا يختص بها كما قال الريحاني الحنابلة والوهابية، وإنما هي سنة رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، وعلماء المسلمين، كما ثبت في الحديث الصحيح: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا..)**(٤).

---

(١) تاريخ نجد-حسين بن غنام-٨٩/٢.

(٢) مجلة الهلال-المجلد ٢٥-ص١١٦-١١٧.

(٣) نجد وملحقاته-أمين الريحاني-٥٧ (الحاشية)

(٤) صحيح مسلم-كتاب الجنائز-بَاب اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ -رقم الحديث(١٦٢٣).

وقال النووي: "المستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة، مستقبلاً وجه الميت يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه، فإن ذلك عادة النصارى، ولأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور، ولأنه إذا لم يستحب استلام الركنين الشاميين من أركان الكعبة لكونه لم يسن مع استحباب استلام الركنين الآخرين، فلأن لا يستحب من القبور أولى"(١).

وقد قال أحمد عبدالغفور عطار: "ليس للوهابيين مذهب خاص تفردوا به عن أهل السنة والجماعة ـ كما يظن الذين لم يدرسوا الوهابية أو المغرضون ـ وكذلك لم يكن الشيخ مبتكراً (طقوساً) دينية تخالف ما جاء به القرآن والحديث، ولم ينفرد بأمور لا تتفق والإسلام"(٢).

ومن أمثلة وصف دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بصفات لا تليق بها، ما ذكرته صحيفة القبلة(٣): (إن التاريخ الإسلامي، قد ظهر فيه عدد من الفرق

---

(١) المجموع شرح المهذب-النووي-٥/٢٧٨(بتصرف)-دار الفكر-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٤١٧هـ وانظر: أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة-أحمد بن يحي النجمي.

(٢) محمد بن عبدالوهاب-أحمد عبدالغفور عطار-١٢٦.

(٣) من الصحف القومية الصادرة من الحجاز، خلال حكم الملك الحسين بن علي، وتعتبر من الصحف المؤيدة للجمعيات القومية العربية، وذلك من خلال ما تحتويه من مقالات تؤيد مبادئ الجمعيات، مثال ذلك: ليس اليوم بين الناطقين بالضاد مسلم ولا مسيحي ولا يهودي. وإنما جميعهم عرب تظلهم راية ملك- --عربي غايته القصوى الدفاع عن جامعتهم والمحافظة على حقوقهم.. وهذه المفاخر التي نهض العرب لاحيائها ووصل سلسلتها، ولم يكن المسيحيون منهم بأقل حرصاً وإعجاباً بها من المسلمين، لأنها في الحقيقة من مفاخر هذه اللغة وأبنائها ومن البراهين التاريخية على ما لبني سام عامة والعرب خاصة من قابلية الارتقاء إلى أسمى ما يمكن للبشر أن يرتقوا إليه آداباً وسماحة. صحيفة القبلة-العدد ٥٢-السنة الأولى-بتاريخ ١٩/٤/١٣٣٥هـ. كاتب المقال:محب الدين الخطيب.وانظر الأعداد: (٣٢)-السنة الأولى-٨/٢/١٣٣٥هـ.و(٤١)-السنة الأولى-٩/٣/١٣٣٥هـ. و(٤٣)-السنة الأولى-١٦/٣/١٣٣٥هـ

والطوائف، كمثل الخوارج والزنوج والقرامطة في زمني الدولتين الأموية والعباسية فإن وضعية الفرق الثلاث المذكورة وعقائدهم لا تختلف عن وضعية الوهابية وعقائدها)[١].

فصنفت صحيفة القبلة عقائد ومبادئ دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب (الوهابية) ضمن الفرق والطوائف الخارجة عن أحكام وهدي الكتاب والسنة.

وقد قال أحمد عبدالغفور عطار: "نشر العلماء المغرضون عن الوهابية الأكاذيب المختلفة والدعاية السيئة فأطلقوا على الدعوة التي قام بها الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب اسم الوهابية وأحاطوه بكل شر ورذيلة، وجعلوا اسم الوهابية علماً على الوحشية والجمود والهمجية، وأفهموا الناس ذلك عن طريق السفسطة والمنطق الخادع فصدقوهم"[٢].

هذه أبرز معالم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومما كتب عن دعوته وجهوده الإصلاحية يظهر أن الإمام مُتَّبِعٌ وليس بمبتدع، وقام بواجب الدعوة إلى الله وتصحيح عقائد الناس وفق الكتاب والسنة. وقد قال لمخالفيه: (أنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة)[٣].

---

(١) جريدة القبلة-السنة التاسعة-العدد ٨٢١-بتاريخ ١٣٤٣/٢/٢٩هـ.

(٢) محمد بن عبدالوهاب-أحمد عبدالغفور عطار-١٢٥-دار العلم للملايين-الطبعة الثالثة-١٣٨٧هـ

(٣) تاريخ نجد-حسن بن غنام-٢/٢٥.

وتعتبر كتب ورسائل الإمام محمد بن عبدالوهاب ـــ التي أرسلها في الرد على افتراءات أهل الضلال ضده ـــ أصدق دليل على بيان منهجه، وإن كانت هـــذه الرسائل قد سطرت قبل قرنين من الزمان، فإن مدلولها صالحٌ لكل زمان، ومما جاء في رسائله: (...أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة:- إنني هداني ربي إلى صـــراط مســـتقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. ولست ـــ ولله الحمد ـــ أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمـــة الذين أعظمهم، مثل: ابن القيم والذهبي، وابن كثير، وغيرهم. بل أدعو إلى الله وحـــده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله التي أوصى بها أول أمته وأخرهم. وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانـــا مـــنكم ـــ المرسل إليه ـــ كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله فإنه لا يقول إلا الحق)[1].

ويكفي في الرد على مزاعم صحيفة (القبلة) وغيرها، ـــ بأن أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من مُعتقدي العقائد الفاسدة ـــ قول الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، في بعض مسائل الصفات:(قوله ﷺ [فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ][2] قال الشيخ: نص في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات، وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معنى ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ

---

(١) تاريخ نجد-حسن بن غنام-١١/٢-مطابع الشرق الأوسط-الطبعة الثانية-١٤٠٢هـ.

(٢) صـــحيح مسلم-كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-بَاب مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ-رقم الحديث (٤٨٨٨).

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۞ ﴾ أن معنى (استوى): استقر وارتفع وعلا، كلها بمعنى واحد، لا ينكر هذا إلا جهمي زنديق يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل (قاتلهم الله أنى يؤفكون)، والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً..والجهمية جحدوا هذه النصوص وعاندوا في التكذيب فصاروا بذلك كفاراً عند أكثر أهل السنة والجماعة.. وأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به إليهم من صفات كماله اللائقة بجلال الله، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه[1].

ثانياً: نقد منهج الدعوة بإزالة الشركيات من واقع المسلمين:

يصف حسين بن غنام حال عصره قبيل دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، فيقول:(كان أكثر المسلمين ـ في مطلع القرن الثاني عشر الهجري ـ قد ارتكسوا في الشرك، وارتدوا إلى الجاهلية، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى .. فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين؛ أمواتهم وأحياؤهم، يستغيثون بهم، في النوازل والحوادث، ويستعينونهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد[2] واستمر يعرض أنواع وأسماء القباب والأضرحة المنتشرة في واقع المسلمين.

---

(١) الجامع الفريد-الرسالة الثانية- الجواب عن أسئلة في الاسم والقضاء والقدر والاستواء-٣٤٢

(٢) تاريخ نجد-حسن بن غنام-١/١٠-١٩.

ومن أبرز آثار الإصلاح العقائدي الذي قام به الإمام محمد بن عبدالوهاب إزالة هذه القباب والأضرحة، مقتدياً بما أمر به النبي ﷺ علياً فعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالا إِلا طَمَسْتَهُ وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ)**[1].

وليس الغرض من إيراد موضوع البناء والقباب على القبور بيان حكمها ومناقشة أقوال المبتدعة فيها، وإنما القصد بيان موقف الجمعيات القومية العربية من مبادئ دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه.

فمن منطلق الحفاظ على الآثار ورغبة في إبقاء معالم الوثنية، يؤكد أعضاء الجمعيات القومية العربية على أن المدنية الصحيحة هي: شيوع الوسائل الروحية كالعلوم والفلسفة والدين والأخلاق الفاضلة والوطنية الصادقة، وشيوع الوسائل الرفيعة كالفنون والآداب الرفيعة من تصوير ونحت وعمارة وموسيقى وشعر ونثر، والشعب لا يكون متمدناً إلا إذا فشت وتكاملت فيه هذه المقومات كلها.

ولهذا اعتبر ميشيل عفلق الحضارات القديمة للشرق الأدنى من (التاريخ العربي الطويل)، ويؤكد عفلق أن الأمة العربية اليوم هي وريثة حضارة غنية، وممتدة في التاريخ. وقد امتزجت هذه الحضارة بمختلف الحضارات المصرية والآشورية والبابلية والفينيقية، وتمكنت من استيعابها[2].

---

(١) صحيح مسلم-كتاب-بَاب الأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ-رقم الحديث(١٦٠٩).

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-٧٠.

ويذكر مصطفى الشهابي ــ أحد مؤسسي الجمعيات القومية ــ ما كان عليه بعض مدن العرب كبلاد اليمن مثلاً، فيقول: "فيها من محافل وقصور وهياكل، وكذلك في الصفا شرقي حوران وفي الحِجْر (مدائن صالح) شمال المدينة ، وفي بصرى في حوران.

وقال الشهابي: **وما برح علماء الآثار حتى يومنا هذا يكشفون النقاب عن تماثيل رائعة دقيقة النحت** في مدافن تدمر الأثرية .. كالشارع الذي كان ينصف المدينة وعلى كل جانب من جانبيه نحو ٣٧٥ عموداً يحمل كل منها تمثال رجل من رجالاتها المشهورين، **ثم تلك القبور التي شبهت القصور بضخامة بنيانها** وجلاء رخامها وزخرف تماثيلها"[١].

فمن منطلق تعظيم الآثار والحفاظ على ما تحتويه من قبور وقباب وغير ذلك، فقد انتقد أعضاء الجمعيات القومية محمد بن عبدالوهاب وأتباع دعوته عليه رحمة الله تعالى، في إزالة القباب والأضرحة، فقد ذكر أحمد عبدالغفور عطار أن محمد حسين هيكل باشا انتقد عمل النجديين (الوهابية) في الحجاز، كهدمهم القبور في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة في ليلة ١٣٥٥/٩/١٧ هـ[٢].

ويقول محمد حسين هيكل:"..لقد كان بين هذه القباب التي هدمت آثار بارعة في الفن لم يكن يجمل بيد تقدر الفن أن تمتد إليها بسوء"[٣].

---

(١) القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها - مصطفى الشهابي - ٣١٩-٣٢٢.

(٢) محمد بن عبدالوهاب-أحمد عبدالغفور عطار-١٤.

(٣) في منزل الوحي-١٣.

ويسأل هيكل: "ترى أيبقى البقيع كما هو اليوم مسواة قبوره بالأرض لا يقـــوم على قبره منها قبة ولا يقام للعظماء والصحابة المدفونين به أثر يذكرونه به؟ لعلك تحسب الأمر يبقى كذلك ما بقى الوهابيون بالحجاز.

وقد يكون في التاريخ ما يرجح ظنك فقد غزا الوهابيون الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر المسيحي فحطموا قباب البقيع كما حطموا غيرها من القباب بمكـــة والمدينة وغيرها من بلاد الحجاز..أرجو ألا يظل هذا البقيع وليس به أثر يذكر به أصحابه، ويذكر به أعلامه من دفنوا طي صحائفه.

وعلـــل محمد حسين هيكل الدعوة إلى بناء وإقامة الأضرحة على القبور، بأنهـــا من أجل ذكرى ومُعْتَبَر للأجيال في تعاقبها حثاً لأبنائها على أن يجدوا في الســـابقين الأولين الأسوة والمثل. وإنا إذ ندخل (البانتيون) في باريس أو كنسية (وستمنســـتر) في لـــندن، أو أياً غير هذين من مدافن العظماء لا تجول بخاطرنا عـــبادتهم، ولا يـــدور بخلدنـــا تقديسهم، إنما يدفعنا ذكرهم إلى الوقوف على أخبارهم وما خلفوا من أثر جليل وعمل صالح"[1].

إن هذه الدعوة التي ينادي بها محمد حسين هيكل مع ما فيها من مخالفة أمر الـــنبي ﷺ في البـــناء على القبور،في قوله ﷺ: (**قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِـــيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)[2]. وجاء في حديث أيضاً: ولما نَزَلَ بِرَسُولِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: (**لَعَنَ**

---

(١) في منزل الوحي-٥٢٥-٥٢٦.

(٢) صحيح البخاري-كتاب الصلاة-بَاب الصَّلاَةِ فِي الْبِيعَةِ-رقم الحديث(٤١٨).

اللَّــهُ الْــيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا قَالَتْ ــ عائشة ــ: وَلَــوْلا ذَلِكَ لأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا)[1] وقال ﷺ: **(لَعْنَةُ اللَّــهِ عَلَــى الْــيَهُودِ وَالنَّصَــارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا)**[2].

إن دعــوة هــيكل إلى البناء على القبور قباباً ووضع معالم عليها من أجل الــتذكر بأمجاد السابقين والفاتحين، كانت هي بعينها سبب الوقوع في الشرك الأكبر وعبادة القبور في الأمم السابقة، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَــلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **(إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[3].

وكانت هذه العله هي السبب في دخول الشرك إلى البشرية ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[4] بيان أن هذه أصنام عند العرب عُبدت من دون الله تعالى، وكان من أسباب عبادتها ما أوضحه ابن عباس ﷺ في قوله: "هذه أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى

---

(١) صــحيح الــبخاري-كتاب الجنائز-بَاب مَا يُكْرَهُ مِنِ اتِّخَاذِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ-رقم الحديث (١٢٤٤).

(٢) المصدر السابق-كتاب الصلاة-بَاب الصَّلاَةِ فِي الْبِيعَةِ-رقم الحديث(٤١٧).

(٣) مصــدر نفســه/بَــاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ/رقم الحديث (٤٠٩).

(٤) سورة نوح-آية رقم (٢٣).

مَجَالِسِهِم الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ"[١].

فمن أجل حماية جناب التوحيد، وخشية الوقوع في الشرك مما وقعت فيه الأمم السابقة أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه، للأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه[٢].

وقرر السلف أن الدعوة إلى بناء القباب على القبور، هي من بدع الفرق الباطنية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لم يكن في العصور المفضلة "مشاهد" على القبور، وإنما ظهر ذلك وكثر في دولة بني بويه، لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار، مقصدهم تبديل دين الإسلام، وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك)[٣].

وأما السلف الصالح فقد كانوا مهتدين بهدي الرسول ﷺ، فسدوا أبواب الشرك، ولم ينظروا إلى شبهة بناء القباب وإحياء الآثار بحجة أنها تقام (ذكراً ومعتبراً للأجيال في تعاقبها حثاً لأبنائها على أن يجدوا في السابقين الأولين الأسوة والمثل) كما قال محمد حسين هيكل، وهذه أمثلة ذلك من أفعالهم وأقوالهم:

---

(١) صحيح البخاري-كتاب تفسير القرآن-بَاب (وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ) -رقم الأثر (٤٥٣٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد-سليمان بن عبدالوهاب-٣٣٢.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١٦٧/٢٧.

١.ما حدّث به طَارِق بْن عَبْدالرَّحْمَنِ عن الشجرة التي بايع النبي ﷺ الصحابة تحتها وتسمى بيعة الرضوان، وقال الله فيهم: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [١] وقال الرسول ﷺ في فضل من بايع: (**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**)[٢] قال عبدالرحمن: (انْطَلَقْتُ حَاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ، قُلْتُ: "مَا هَذَا الْمَسْجِدُ"؟ قَالُوا: هَذه الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَان، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّب فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَة..)[٣] ولظهور هذه الفتنة في تلك البقعة أمر عمر بن الخطاب ﷺ بقطعها[٤].

٢.وعَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب ﷺ: "أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (**أَنْ لا تَدَعَ تِمْثَالاً إِلا طَمَسْتَهُ وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَهُ**)[٥].

٣.ورَأَى ابْنُ عُمَرَ ﷺ فُسْطَاطًا عَلَى قَبْرِ عَبْدِالرَّحْمَنِ ــ بن أبي بكر ــ فَقَالَ: "انْزِعْهُ يَا غُلامُ فَإِنَّمَا يُظِلُّهُ عَمَلُهُ"[٦].

---

(١) سورة الفتح-آية رقم (١٨)

(٢) صحيح البخاري-كتاب المغازي-بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ-رقم الحديث(٣٨٣٩). وانظر في أسباب بيعة الرضوان-سيرة ابن هشام-٣/٣٦٣.

(٣) صحيح البخاري-كتاب المغازي-بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ-رقم الأثر(٣٨٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف-٢/٣٧٦. وقال ابن حجر: إسناده صحيح.انظر: فتح الباري-٧/٥١٣.

(٥) صحيح مسلم-كتاب الجنائز-بَاب الأَمْرِ بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ-رقم الحديث(١٦٠٩).

(٦) أخرجه البخاري تعليقاً-كتاب الجنائز-باب الجريد على القبر-وأوصله ابن حجر في تغليق التعليق- ٢/٤٩٣.

٤.وعن المعرور بن سويد قال: "خرجنا مع عمر ﷺ في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ و﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ ﴾ فلما قضى حجه والناس يبتدرون، فقال: ما هذا؟ فقيل له: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا قبور أنبيائهم بيعاً، من عرضت له منكم الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيها الصلاة فلا يصل"(١).

٥.وأَوْصَى أَبُو مُوسَى ﷺ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَقَالَ: "إِذَا انْطَلَقْتُمْ بِجَنَازَتِي فَأَسْرِعُوا الْمَشْيَ وَلا يَتْبَعْنِي مُجَمَّرٌ، وَلا تَجْعَلُوا فِي لَحْدِي شَيْئًا يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ التُّرَابِ، وَلا تَجْعَلُوا عَلَى قَبْرِي بِنَاءً.. قَالُوا: أَوَسَمِعْتَ فِيهِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(٢).

٦.وعن محمد بن كعب قال: "هذه الفساطيط التي على القبور محدثة"(٣).

٧.ولَقِيَ أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ، وَهُوَ جَاءٍ مِنَ الطُّورِ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنَ الطُّورِ صَلَّيْتُ فيه. قَالَ: "أَمَا لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ إِلَيْهِ مَا رَحَلْتَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى)**(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف-٢/٣٧٦.وقال الألباني:سنده صحيح على شرط الشيخين.انظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد/الألباني/١٣٧/المكتب الإسلامي/الطبعة الرابعة-١٤٠٢هـ

(٢) مسند الإمام أحمد-٤/٣٩٧-برقم (١٨٧٢٦).وقال الألباني: وإسناده قوي-تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد-١٣٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف-٣/٣٣٦.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل-٣/٥٣.

فهذه الآثار الواردة عن السلف كافية في الرد على أعضاء الجمعيات حينما أنكروا على الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه هدم القباب التي على القبور.

والملاحظ في واقع كثير من بلاد المسلمين كثرة الأضرحة وتشييد المباني على القبور، على الرغم من النصوص الشرعية التي أوردت طرفاً منها، وتنهى أشد النهي عن بناء المساجد على القبور، وعن الصلاة فيها، وعلى الرغم من تعيين قبر النبي ﷺ في ذلك النهي، إلا أن الخلوف من المسلمين لم يرعوا لهذه النصوص حرمة فيقفوا عند حدودها[1].

وقال الشوكاني: "فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة، والسرج المتلألئة، وقد سطعت حوله مجامر الطيب، فلا شك ولا ريب أن يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فيصير في عداد المشركين"[2].

ويحدث الشيخ الألباني عن واقع بعض المسلمين فيقول: "لقد صار بعضهم يتقرب إلى الله تبارك وتعالى بذلك ـــ البناء على القبور ـــ فترى كثيراً من محبي

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين-علي الزهراني-٢٧٤.

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور-محمد بن علي الشوكاني-١٧-السنة المحمدية-مصر.

الخـــير وعمارة المساجد منهم من ينفق أموالاً طائلة ليقيم لله مسجداً، لكنه يعد فيه قبراً، يوصي أن يدفن فيه بعد موته.. ومن المؤسف لكل مؤمن حقاً أن كثيراً من المساجد في البلاد السورية وغيرها لا تخلو من وجود قبر أو أكثر فيها"[١].

ثالثاً: اعتبار الدعوة(الوهابية)حركة سياسية ذات مطمع مادي:

تعتبر دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوة إصلاحية على السنة المحمدية، و(حـــررت العقـــل من أسر التقليد وغل العادات، وعملت على إطلاق العقل وتنشيط الفكر، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى)[٢].

وكما واجهت دعوة الرسل المعاندين والمعارضين لدعوتهم كما في قوله تعالى: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٣].

فقـــد واجهت دعوة الإمام الصادين والمعارضين للمبادئ الإصلاحية التي جـــاء بهـــا الإمـــام محمـــد بـــن عبدالوهاب، فوقعت وقائع بين أتباع الدعوة والمعارضين، فيها مدافعة عن الحق وإزهاق للباطل.

---

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد-الألباني-٧-٨.

(٢) ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر-٣-٦/٦/١٤٠٥هـــ-مكتب التربية العربي لدول الخليج ص:٣٠٧-بحـــث بعـــنوان: حـــركة الـــتجديد والإصلاح في نجد-قدمه الشيخ:محمد بن عبدالله العجلان.

(٣) سورة هود-رقم الآيات (٥٤-٥٦).

وهـــذا الأمر مقرر في عقيدة كل مسلم، فكان أتباع الدعوة الإصلاحية، يقولـــون: "إن السلامة من ألسنة الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك عند الله ودع الناس" فإذا كان رسول الله تكلم فيه ونسب إلى الجور والظلم، حينما بدأ الناس يَسْأَلُونَهُ من أموال حنين: (..حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَـــفَ النَّـــبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (**أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلا كَذُوبًا وَلا جَبَانًا**)[1] وهو رسول رب العالمين وأعظم الخلق عدلاً وأمانة ومع هذا قيل فيه ما قيل، فكيف يطمع العاقل في السلامة من الناس[2].

وقـــد قـــال الشيخ سليمان ابن سحمان: "لا غرو من هذا ولا بدع، فإن الـــناس من أهل الريب والالتباس كانوا من أمر الشيخ وحاله في اختباط وتخليط مـــن حقيقة ما كان عليه الشيخ على قدر أغراضهم وشهواتهم وإراداتهم الباطلة فرموه بالأمور العظيمة، من الأقوال الشنيعة الذميمة، وعادوه وآذوه"[3].

وإن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حال دعوته إلى دين الله ورسوله ﷺ، لم يقاتل الناس ابتداء، بل مكث برهة من الزمان يدعو الناس إلى إفراد الله سبحانه وتعـــالى بالعـــبادة، وتـــرك عـــبادة ما سواه من الأولياء والصالحين والأحجار والأشجار والطواغيت، ويخبرهم أن التقرب والاعتقاد في الأولياء والصالحين هو

---

(١) صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير/بَاب الشَّجَاعَةِ فِي الْحَرْبِ وَالْجُبْنِ/رقم الحديث(٢٦٠٩).

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ-عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب-٣٧٦.

(٣) كشـــف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام-سليمان بن سحمان-٨-مطابع الرياض-الطبعة الثانية-١٣٧٦هـ

محض حق الله تعالى، لا يصلح منه شيء لغير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما، فلما تبين بهذا واشتهر أمره بالدعوة إلى دين الله ورسولهﷺ، واستنكف أعداء الله من ذلك واستكبروا عن قبول دعوته فآذوه وعادوه وأخرجوه من بلدة العيينة ثم هاجر إلى الدرعية، فآووه وواسوه، وقاموا بنصرته والجهاد معه لما أنكر عليه أهل نجد وغيرهم من الطوائف ما دعاهم إليه فشمروا له عن ساق العدوات وبدأوه بالقتال.. فحينئذ قاتلهم مدافعة لهم لما بغوا عليه وظلموه[١].

وقد استغل أعضاء الجمعيات القومية العربية هذه الحروب، وما قام به الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من هدم القباب وتسوية القبور بالأرض، تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ[٢]، فقالوا عن الدعوة (الوهابية): "إنها امتزجت بالمطامح السياسية وجعلت ابن السعود الكبير حامي هذه الحركة يزحف على بلاد الحجاز لتوطيد سلطان عربي جديد في القسم الشمالي من جزيرة العرب"[٣].

وقال محمد كرد علي عن تاريخ دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه: "من طالع هذا التاريخ ـــ تاريخ ابن غنام ـــ وعرف حال الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يلبث أن يقع في ذهنه أن كل تاريخ هذه الطائفة قتل وقتال وقيل وقال"[٤].

---

(١) المصدر السابق-٣٠ وانظر عن هذه الحروب كتاب تاريخ نجد-٨٩/١.

(٢) انظر: تاريخ نجد-ابن غنام-١٠٧/٢.

(٣) حول الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - ١٩/١.

(٤) القديم والحديث-محمد كرد علي-١٧٢-الطبعة الأولى-١٣٤٣هـ-المطبعة الرحمانية-مصر.

وعند حديث أمين الريحاني عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، قال: "كان أتباع ابن عبدالوهاب يدعون أنفسهم بالمسلمين وأعداءهم بالمشركين"[١]. فكل من عادى الدعوة كان مشركاً في نظر أمين الريحاني النصراني ـ الذي قال عنه أعضاء الجمعيات: داعية من دعاة تحرير الفكر من الضغط الديني والسياسي، ومن أكبر دعاة الوحدة العربية وهو عضو في الجمعيات العلمية ـ[٢].

وأثناء الحرب القائمة بين أتباع الدعوة الوهابية وبين حكومة الأشراف في الحجاز، وصفت جريدة القبلة ـ القومية ـ هذه الحروب بأنها من فظائع الوهابية، وهي ترمي إلى سفك الدماء ونشر الخوف والرعب بين الأهالي[٣].

لقد وسمت صحيفة القبلة آثار الحرب بأنها من مبادئ وفظائع الوهابية، وقالت الصحيفة: "إن الوهابيين لا ينشدون من حركاتهم افتتاح البلاد التي يغزونها ولا إخضاع سكانها، وإنما يقصدون السلب والنهب والفوز بالغنائم ولا يفكرون بما دون ذلك"[٤].

---

(١) نجد وملحقاته-أمين الريحاني-٤٤.

(٢) مصادر الدراسات الأدبية-أسعد داغر-٢/٣٩١-المكتبة الشرقية-بيروت لبنان-١٩٨٣.

(٣) جريدة القبلة-السنة التاسعة-العدد ٨٢٣-بتاريخ ١٣٤٣/٢/٢٥هـ.

(٤) جريدة القبلة-السنة التاسعة-العدد ٨١٧-بتاريخ ١٣٤٣/٢/٤هـ وانظر: العدد ٨١٨-بتاريخ ٨ /١٣٤٣/٢هـ

وقال محمد حسين هيكل: "النجديون الحاكمون يتبعون مذهب ابن عبدالوهاب، وهو مذهب أحمد بن حنبل، وهم يتبعونه في شدة وغلو كانا أوضح أثراً أول تسلطهم على الحجاز في سنة ١٩٢٦"[١].

ويمثل هذا الرأي قال الريحاني عن الإمام محمد بن عبدالوهاب: "إن الشيخ في رجوعه إلى الكتاب والسنة اصطدم بآيات وأحاديث نبهت فيه نعرة الأقدمين فحرض على الأعمال التي شوهت في الماضي كل دين. على أن الإصلاح في بادئ أمره لا يكون بغير الهدم، ولا يقوم بغير شيء من الإرهاب"[٢].

ويذكر محمد فريد وجدي: "أن مما يؤخذ على (الوهابية) غلوّ بعضهم في أصولهم فقد عدوا رفع القباب على القبور، وإيقاد السرج عليها وإدخالها في المسجد من البدع، ويقرر وجدي: أن (الوهابية) قد غالوا في محو القبور حيث محوها بشيءٍ من الحماس"[٣].

كما انتُقِد على دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب مسألة هدم القباب وتسوية ما ارتفع من القبر، بأن تطبيق هذا المبدأ لا ضرر منه، أيام كانوا ــ الوهابية ــ قابعين في الصحراء لا يتجاوزها، ولكن وقد اختلطوا بغيرهم فإن الأمر يكون خطيراً[٤].

---

(١) في منزل الوحي-محمد حسين هيكل-١٣٠.

(٢) نجد وملحقاته-أمين الريحاني-٥٢.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين-فريد وجدي-١٠/ ٨٦٩-دار المعرفة-بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة-١٩٧١.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية-محمد أبو زهرة-٢١٠-٢١١-دار الفكر العربي.

واعتـــبر أعضاء الجمعيات أن دعوة محمد بن عبدالوهاب دعوة إلى الجمود وعـــدم النظر في العلوم الحديثة ومتطلبات العصر، كما قال جميل الزهاوي: "لما رأى ابـــن عبدالوهاب أن قاطني بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة، لم يزالوا عـــلى البســـاطة والسذاجة في الفطرة، قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلـــية عـــندهم مكانة ولا رواج، ووجد هنالك من قلوبهم ما هو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد"[١].

ومـــا نسبه أعضاء الجمعيات القومية العربية إلى دعوة الإمام لا يخص من عاصر أحداث الحركة الإصلاحية فحسب وإنما يعم جميع من تبنى دعوة الإمام، لـــذا قال أمين الريحاني عن أتباع الإمام: "لا يزالون حتى اليوم محافظين على هذا الإرث الـــثمين، إلا أنه ينقصهم شيء من المرونة العقلية والروحية، يعادون عبثاً سنة التطور والعمران"[٢].

ويؤكد جرجي زيدان في كتابه (مصر الحديثة) على أن الوهابيين قد ذهبوا إلى إغفال الكتب الدينية الإسلامية إلا القرآن[٣].

وقـــد سطر الإمام محمد بن عبدالوهاب في إحدى رسائله المنهج التربوي، المعـــتمد على كتاب الله وسنة رسوله في مسألة إنكار المنكر، حيث قام بتوجيه أحد أتباع الدعوة الإصلاحية بطريقة إنكار المنكر والواجب فعله في ذلك، فمما

---

(١) الضـــياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق-سليمان بن سحمان-١٥٢-دار البحوث العلمية والإفتاء-الطبعة الخامسة-١٤١٤هـــ.

(٢) نجد وملحقاته-أمين الريحاني-٤٢-منشورات الفاخرية-الرياض-الطبعة الخامسة-١٩٨١.

(٣) مصر الحديثة- جرجي زيدان-

قال: (الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث، أن يعرف ما يأمر بـــه وينهى عنه، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه، صابراً على ما جاءه من الأذى، ويجـــب الحـــرص على فهم هذا والعمل به، فإن الخلل إنما يدخل على صـــاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه. ويذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره. فالله الله في العمل بما ذكرت لكم، والـــتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه"[١].

ودلائـــل الشـــدة والغلو التي ذكرها أعضاء الجمعيات القومية العربية عن دعوة الإمام محمد وأتباعه، هي إزالة القباب والبناء على القبور، كما ذكر ذلك الشـــيخ ســـليمان بـــن ســـحمان عن أعمال جيش أتباع دعوة الإمام محمد عـــبدالوهاب في مدينة الطائف، أن الجيش هدم ما فيها من القباب المبنية على القـــبور المعبودة من دون الله، ومن أعظمها القبة التي بنيت على قبر عبدالله بن عباس[٢].

وممـــن عاصر أحداث تطهير معالم الشرك على يدي أتباع الدعوة السلفية في بـــلاد الحجاز، الشيخ سعد بن عتيق، الذي كتب عن هذه الحادثة رسالة[٣] قـــال فيها: (لا يخفى أن ما من الله به من فتح الحرم الشريف وما حصل به من

---

(١) تاريخ نجد--حسين بن غنام-٢/٢٠٧.

(٢) تـــتمة ســـليمان بـــن سحمان على تاريخ نجد-محمود شكري الآلوسي-١٣١-الطبعة الثالثة-١٤١٥هـــ

(٣) أرســـل الشـــيخ سعد بن عتيق رسالة إلى الملك عبدالعزيز يذكر فيها فضل الله على ما أنعم الله عليهم. انظر: مجموعة رسائل الشيخ سعد بن عتيق-٧٥-٧٦.

إعـــلاء كـــلمة الإسلام، وخذلان أهل الشرك وعباد الأوثان والأصنام وهدم مشاهد الشرك والطغيان واللات، وما أحدثه أهل الضلال من القباب والمقامات والبـــنايا التي على القبور، أنه من أكبر النعم عليكم وعلى المسلمين.. وإن هدم هذه المشاهد واستئصالها ومحوها وعدم إبقاء شيء منها من أعظم الحسنات، وإن تَـــرْكها أو تَرْك شيء منها والإعراض عن التحريض على محوها وإعدامها من أعظم السيئات من القادر على ذلك)[1].

ويصف الشيخ محمد بن عثمان الشاوي الأعمال القبورية في مكة المكرمة حين دخلها مع أتباع هذه الدعوة السلفية سنة ١٣٤٣هـــ، وما فعلوه من هدم قـــباب الشرك، يقول رحمه الله: (وبعد أن فرغنا من أعمال العمرة، وبادرنا إلى هدم القباب، وجدنا في القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ما لا تســـتطاع حكايته، من ذلك أنا وجدنا رقاعاً مكتوباً فيها: "يا خديجة يا أم المؤمـــنين جئناك زائرين، وعلى بابك واقفين، فلا ترديا خائبين فاشفعي لنا إلى محمد يشفع لنا إلى جبرائيل، ويشفع لنا جبرائيل إلى الله" ووجدنا عند باب القبة عجـــوزاً شوهاء من سدنتها، ولقد حدثني غير واحد أنهم سألوها: ما حالك؟ فقالت: "هي خادمة لسيدتها المتصرفة في الكون منذ عدة سنين، ولا تصوم ولا تصلي، ومع ذلك يتمسح بها الزوار، وعند القبة من الشمع والسرج والآلات ما لا يحصـــى، وعندها من أنواع الطيب ما لم نجد مثله عند البيت الحرام والحجر الأســـود، وأمـــثال هـــذا كثير معلوم، فلهذا استعنا بالله تعالى على إزالة تلك القباب)[2].

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ سعد بن عتيق-٧٥-٧٦.

(٢) القـــول الأسد في الرد على الخصم الألد-محمد بن عثمان الشاوي-مخطوط بجامعة الملك سعود-رقم ٣٤٢١.

وحـــالُ واقـــع ســـاكني المدينة النبوية، ليس أحسن حالاً من أهالي مكة المكرمة، حيث يصف أهالي المدينة واقع الناس عند قبور أصحاب النبي ﷺ حيث يجـــتمع الـــزوار مع أهالي المدينة في الصعود إلى ضريح سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلـــب، وكانت الحكومة التركية تحتفل به رسمياً، فيخرج فوج من الجنود بالموســـيقا وأفـــراد الشرطة، وتطلق الصواريخ وتقام الولائم والموالد والأذكار والســـمر بالليل، وتوفى النذور عند القبور، ويمتلئ قبر سيد الشهداء بالشموع والدراهم من ذهب وفضة يأخذها سادن التربة[1].

وبعـــد دخول جيوش أتباع الدعوة السلفية إلى مكة المكرمة، تم عقد لقاء بـــين علماء أتباع دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وبين علماء الحجاز[2] من أجـــل التباحـــث في مســـائل حصـــل فـــيها لبسٌ تجاه دعوة الإمام محمد بن عـــبدالوهاب، ومما جاء في البيان الذي صدر من علماء الحجاز، ما يلي: جرى بيننا وبين المذكورين والمحترمين مباحث فعرضوا علينا عقيدة أهل نجد، وعرضنا عليهم عقيدتنا، فحصل الاجتماع بيننا وبينهم بعد البحث والمراجعة في مسائل أصولية منها:

---

(١) مجلة المنهل-الجزء السابع- مجلد ٢٧-السنة ٣٢-لعام ١٣٨٦هـ-ص:٧٦٤.

(٢) ذكـــر في البيان أسماء علماء نجد، ومنهم: الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، والشيخ عبدالله بن حســـن، والشيخ عبدالوهاب بن مزاحم، والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن داود، والشيخ محمد بن عـــثمان الشاوي، والشيخ مبارك بن عبدالمحسن بن باز. وممن ذكر من أسماء علماء الحجاز: محمد حبيـــب الله الشـــنقيطي، والشيخ عمر باجنيد أبي بكر، والشيخ درويش عجيمي، والشيخ محمد مرزوقي، والشيخ أحمد بن علي..الخ

١. إن مـــن أقر بالشهادتين وعمل بأركان الإسلام الخمسة، ثم أتى بمكفر ـــ ينقض إسلامه ـــ قولي أو فعلي أو اعتقادي أنه يكون كافراً بذلك يستتاب ثلاثاً فإن تاب وإلا قتل.

٢. من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضر أو يقربونه إلى الله زلفى، أنه كافر يحل دمه وماله، ومن طلب الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله أن ذلك شرك، فإن الشفاعة ملك لله ولا تطلب إلا منه، ولا يشفع أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ وهو لا يأذن إلا فيمن يرضي قوله وعمله كما قال تعالى:﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وهو لا يرضى إلا التوحيد.

٣.تحـــريم البناء على القبور وإسراجها وتحري الصلاة عندها، أن ذلك بدعة محرمة في الشريعة.

٤.إن من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً، ولا يجوز الحلف بغير الله لا الكعبة ولا الأمانة ولا النبي ولا غير ذلك لقول النبي ﷺ **(مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)**[1].

فهـــذه المســـائل كـــلها لما وقعت المباحثة فيها حصل الاتفاق بيننا وبين المذكوريـــن، ولم يحصـــل خلاف في شيء، فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا علماء أهل نجد، نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه[2].

---

(١) ســـنن أبي داود-كتاب الأيمان والنذور-بَاب فِي كَرَاهِيَةِ الْحَلْفِ بِالآبَاءِ-رقم الحديث(٢٨٢٩). وانظر مسند الإمام أحمد-١٢٥/٢.

(٢) صحيفة أم القرى-١٣٤٣/٥/٢٩هـــ-ص:٤.

قال ابن القيم عن الفوائد والعبر من قدوم أهل الطائف إلى الرسول ﷺ وإسلامهم، ثم سؤالهم بأن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله عليهم، قال ابن القيم: "لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله"(١).

وأما عن الحروب فقد أوضح الإمام محمد بن عبدالوهاب في رسائله أن الحروب كانت لإقرار الحق وإبطال الباطل، ومدافعة عن دعوة التوحيد وأهله ومما قاله في رسائله: وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكناً، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ (٢) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه(٣).

وأما عن قضية التكفير التي وصف بها أعضاء الجمعيات القومية العربية الإمام محمد بن عبدالوهاب، فقد دافع الإمام عن منهجه وبيّن أن هذا بهتان عظيم، وأنه لا يقول بتكفير الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة. ونص على أن الذي يشيع هذا القول عنه إنما يريد به تنفير الناس عن دين الله ورسوله ﷺ(٤).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد-٣/٥٠٦. وانظر عن قدوم أهل الطائف:سيرة ابن هشام-٤/١٩٤.

(٢) سورة الشورى-رقم الآية (٤٠).

(٣) تاريخ نجد-ابن غنام-٢/١٥٨.

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية-١٠/١١٣-الطبعة الخامسة-١٤١٦هـ

كما فند الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب تلك الفرية، بقوله: "وأما ما يكذب علينا ستراً للحق، وتلبيساً على الخلق، ـــ بأننا نكفر الناس على الإطلاق ـــ، أهل زماننا، ومن بعد الستمائة، إلا من هو على ما نحن فيه، ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركاً، وأن أبويه ماتا على الشرك بالله.. فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها، لّما استفهمنا عنهما ممن ذكر أولاً، كان جوابنا في كل مسألة من ذلك ﴿ سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى، ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا علم قطعياً إن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأن الله لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فإنا نعتقد أن من فعل أنواعاً من الكبائر كقتل المسلم بغير حق، والزنا، وشرب الخمر، وتكرر ذلك منه، أنه لا يخرج بفعله ذلك من دائرة الإسلام، ولا يخلد به في دار الانتقام، إذا مات موحداً بجميع أنواع العبادة[1].

ومما تقدم عرضه عن موقف الجمعيات القومية من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، يمكن الخلوص إلى ما يلي:

أولاً: إن الجمعيات القومية العربية، قد رددت شُبه علماء الضلال التي أثيرت ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب.

---

(١) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية-سليمان بن سحمان-٤٠-مطبعة المنار-مصر-الطبعة الثانية-١٣٤٤هـ

ثانياً: اعتبار دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب مناقضة لحرية الفكر وإبداء الرأي، بناء على ما كان يقال: (إن مخالف الإمام كافر ويجب قتاله).

ثالثاً: تصنيف دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بأنها مذهبٌ مُحْدثٌ.

رابعاً: إثارة الشُّبه والقدح في دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، رغبة في صد المسلمين من الاستماع للدعوة.